مجلة "آفاق فكرية"

ص. ص. 03 - 18

رت م د: 2353 - 0367

رت م د إ: 2602-5507

إشكالية تنمية المجتمع في الفكر العربي المعاصر

The problem of community development in contemporary Arab thought

طا. با. بن طولة محمد [1]* ، شيخ فتيحة [2]

[1] جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس (الجزائر)، مخبر الفكر الإسلامي في الجزائر، Bentoulamohammed@gmail.com

[2] جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس (الجزائر)، fatihachikh32@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2021/05/02 تاريخ القبول: 2022/09/16 تاريخ النشر: 2022/10/10

ملخص:

إن العصر الحالي الذي نعيش فيه يتميز بالسرعة في التقدم والتحضر، وقد استغلت المجتمعات الغربية هذه الميزة فحققت نهضة كبيرة جعلت من المجتمع العربي عاجزا عن اللحاق بها وإدراك حضارتها، حيث رضيت واكتفت بالتبعية لها واستيراد منتجاتها وتجاربها بما يطيل أزمة النهضة والتخلف في المجتمع العربي الذي يمتاز بثراء بيئته الطبيعة والبشرية، ولكن يمتاز باختلال طبيعته السياسية التي عجزت عن تحقيق التنمية للمجتمع العربي بما يحقق له الرفاهية والعيش الكريم من خلال تحقيق المشاريع التنمية والنهضوية التي طرحت في الفكر العربي المعاصر.

كلمات مفتاحية: التنمية، المجتمع، النهضة، الدولة، الحرية، المساواة.

Abstract :

The current era in which we live is characterized by the speed of progress and urbanization , Western societies have taken advantage of this advantage and achieved a great renaissance that made the Arab community unable to catch up with it and realize its civilization. Where I was satisfied and contented with subscribing to it and importing its products and experiences in a way that prolongs the crisis of renaissance and backwardness in the Arab society, which is characterized by the richness of its natural and human environment. However, it is distinguished by its imbalance of its political nature, which has been unable to achieve development for Arab society in a way that achieves prosperity and a decent life for it through the realization of development and renaissance projects that have been proposed in contemporary Arab thought.

Keywords: Développement, société, renaissance, État, liberté, égalité.

* المؤلف المرسل.

مقدمة:

إن ما يعانيه المجتمع العربي من تخلف وتبعية في شتى المجالات إنما سببه هو فقدان الأسس الرئيسية لتحقيق التنمية وفق الإمكانيات المحلية وطبيعة المجتمع وخصوصيته الإسلامية، ولذلك فقد فشلت كل التجارب المستوردة من اجل تحقيق النهضة والتنمية للمجتمع العربي، وهو يؤكد الفكر العربي المعاصر من خلال كوكبة من النخب التي سعت جاهدة لطرح مشاريع بديلة عن التجارب الغربية لكي تتحقق تنمية ونهضة عربية بشروط وأدوات عربية خالصة، وذلك لا يمنع من الاستفادة من التجارب الغربية ولكن بشكل إثرائي وثنائي وليس بشكل رئيسي وأساسي يقصي التجارب والتطلعات العربية، ولهذا نطرح الإشكالية التالية: كيف يرى المفكرون العرب إشكالية تنمية المجتمع؟، وما الحلول البديلة للعوائق القائمة؟.

إن مفهوم التنمية ظهر في القرن الماضي خاصة بين الحرب العالمية الثانية التي أدت إلى دمار للحضارة وللإنسانية بشكل فظيع، مما أظهر الحاجة إلى إعادة البناء وتحقيق تنمية للمجتمعات التي تدمرت مدنها، ثم تطور الأمر وشمل التنمية للبلدان النامية خاصة تلك التي كانت تحت سطوة الاحتلال والاستعمار والتي كانت تعاني من التخلف في شتى المجالات وفاقدة لأدنى متطلبات العيش الكريم التي تجعلها تواكب العصر الذي تعيش فيه من خلال برامج التنمية التي تسعى لبناء الإنسان ومجتمعه حضارته.

ولقد "قدم المجلس الاقتصادي والاجتماعي تعريف التنمية سنة 1956 حيث عرفها بكونها العمليات التي توجد بين جهود الأهالي وجهود السلطات الحكومية لتحسين الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمجتمعات المحلية، وتحقيق التكامل هذه المجتمعات في إطار حياة الأمة ومساعدتها على المساهمة التامة في التقدم القومي، يعرفها "أرنرد نهام" على أنها: "نشاط منظم الغرض منه تحسين الأحوال المعيشية في المجتمع ورفع قدرته على تحقيق التكامل الاجتماعي والتوجه الذاتي لشؤونه ويقوم أسلوب العمل في هذا الحق على تعبئة وتنسيق النشاط التعاوني والمساعدات الذاتية للمواطنين، ويصحب ذلك مساعدات فنية من المؤسسات الحكومية أو الأهلية" (حجاب ، 2017، صفحة 354).

"قد نص تقرير التنمية البشرية عام (1410 هـ _1990) الصادر عن الأمم المتحدة على أن التنمية تعني: "عملية توسيع الخيارات المتاحة أمام الناس، أهم هذه الخيارات والتي من بينها

الدخل، تحقيق حياة طويلة خالية من الملل، واكتساب المعرفة والتمتع به بمعيشة كريمة، والحرية السياسية، وضمان حقوق الإنسان لذاته والتركيز على تطوير القدرات البشرية واستخدامها لقدرات في الإنتاج"" (خوجة، 2011-2012، صفحة 18).

ولهذا فقد أصبحت التنمية ضرورة حتمية للمجتمع وأفراده حتى يتمتعوا بكافة الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية، بما يمكنهم من الحصول على العمل والمسكن والتعليم والرعاية الصحية، وكذا المشاركة السياسية، ولا يتحقق ذلك إلا من التعاون بين الدولة والمواطن عن طريق المؤسسات الرسمية والحكومية، والسعي لحسن استغلال الطاقات البشرية والثروات والموارد الطبيعية بما يخدم المجتمع ويساهم في تنميته، ومواكبة العصر الذي يواكبه. وتكريس مبادئ تكافؤ الفرص وكذا الحرية والعدالة والمساواة من اجل تحقيق تنمية حقيقية وشاملة ومستدامة.

1. تنمية المجتمع بمنظور بعض المفكرون المعاصرين من العرب:

1.1. تنمية المجتمع في فكر مالك بن نبي:

لقد كان مالك بن نبي حاملا لهموم المجتمع والبحث عن السبل والطرق الناجعة التي يمكن إن تحقق تنميته وتنمية أفراده، فقام بتحليل التاريخ وأبعاده الحضارية ودراسة الواقع وإمكانياته التقدمية، واستشراف المستقبل وتطلعاته، كما حاول طرح نموذج إسلامي وعربي جديد يخرج العالم الإسلامي من دائرة التخلف الذي يقبع فيه، ويفتح له باب التطلع لحضارة قوية تبنى بعقول عربية وتحقق التنمية في كل المجالات والميادين وتنهض بالمجتمع والفرد لكي يواكب التطور الذي يعاصره كما هو حاصل في العالم الغربي.

"الارتباط الوثيق بين التنمية والحضارة، فالتنمية كما يراها مالك بن نبي هي متطابقة مع فكرة الحضارة، ذلك أن النمو حضارة والتخلف انحطاط، والحضارة في جوهرها عند مالك بن نبي: "هي مجموعة الشروط المعنوية والمادية التي تتيسر لمجتمع معين أن يقدم كل فرد، في كل طور من أطوار وجوده من الطفولة إلى الشيخوخة، المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذاك من أطوار نموه" أي أن التنمية عند مالك بن نبي تأخذ الثقافة كمحتوى وكوعاء لها لكي تضمن المشاركة الاجتماعية الكلية لها" (العابد، 2012، صفحة 169)، "فالمجتمع الذي يقوم بوظيفته التاريخية، هو

المجتمع الذي يقوم بوظيفته نحو الفرد ويحقق راحة الفرد، فإنه لابد أن نفهم معناه فهما دقيقا، فهو ليس عددا من الأفراد وإنما هو شيء خاص، هو بنيان وليس تكديسا من الأفراد بنيان فيه أشياء مقدسة متفق عليها، فقبل أن تجتمع الأفراد تكون هناك فكرة عامة هي التي تؤلف بين أفراد المجتمع، فإذا فقدت هذه الفكرة الصلات بين الأفراد تفكك المجتمع وضاعت المصلحة التي كانت تتمثل فيه". (بن نبي، تأملات، صفحة 157)

ولهذا فقد كانت انطلاقة مالك بن نبي من اجل تحقيق النهضة هو البحث في أسس بناء الحضارة وأدواتها المادية والمعنوية، حيث انه لا سبيل إلى الوصول لتنمية الفرد إلا بإحياء وظيفة المجتمع التاريخية، وضرورة التجديد بين الأجيال والمحافظة علة الصلة القوية بينهم بما يحل إشكالية الأصالة والمعاصرة، ويتم تجاوزها بذلك من اجل بناء حضارة تكون فيها الثقافة هي مصدر المشاركة الاجتماعية لكل الأفراد وعبر كل المراحل، حتى لا تنقطع الصلة بينهم ويحدث اختلال اجتماعي يخل بأسس النهضة والبناء الحضاري.

"ولكن حسب الاعتبارات الاجتماعية التي تنتج ما انتهى إليه التحليل، يتبين أن المعادلة العامة التي وصلنا إليها تدل على أن مشكلة الحضارة لا تحل باستيراد منتوجات حضارية موجودة مع الاحتفاظ بالصواب بين الإفراط والتفريط كما بينا ولكنها تستوجب حل ثلاث مشكلات جزئية" (بن نبي، تأملات، صفحة 201).

- مشكلة الإنسان وتحديد الشروط لانسجامه مع سير التاريخ.
- مشكلة التراب وشروط استغلاله في العملية الاجتماعية.
- مشكلة الوقت وبث معناه في روح المجتمع ونفسية الفرد.

وإنه يمكننا الآن في ضوء هذه الاعتبارات النظرية أن نقدر تقديرا سلميا وضع النهضة العربية، من حيث غايتها ووسائلها وطبيعة مشاكلها". (بن نبي، تأملات، صفحة 201).

"فالمجتمع في نشاطه المتناغم هنالك تشابك بين العوالم الثلاثة: الأشياء، الأشخاص والأفكار، وغني عن البنيان أن خطة هذا النشاط مهما كان مبدئيا تنطوي بالضرورة على مسوغات وأنماط تنفيذية: بواعث في المستوى الأخلاقي وأفكار تقنية، ولكن يظل هنالك دائما رجحان لأحد

هذه العوالم الثلاثة، وبهذا الرجحان الذي يظهر في المجتمع وفكره يتميز عن سواه من المجتمعات" (بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، صفحة 36)، وعليه فإنه لا سبيل إلى تحقيق الغاية المنشودة وإعادة بناء الحضارة إلا إذا تم معالجو مشكلات المجتمع الثلاث، والتي تتمثل في مشكلة الإنسان الذي يعتبر محور الوجود ووسيلة تحقيق الحضارة وغايتها، فبه تتحقق النهضة وبه يتم التخلف والانحطاط الحضاري، وحل مشكلته تكون بحسن التعليم ونشر الوعي وروح المسؤولية تجاه الفرد والوطن، ثم مشكلة التراب والذي يعتبرا أرضية لوضع الأسس الأولى لأي دولة أو حضارة، وحل تكون بحسن استغلال الأرض بكل طاقاتها وثرواتها حتى يتسنى للجميع التمتع بكافة الحقوق بداخل التراب الذي يجمعهم مقابل تأدية كافة الواجبات تجاه الدولة التي تنظم شؤونهم بما تمليه القوانين العادلة، وفي الأخير مشكلة الوقت والتي تعتبر عنصرا أساسيا في منافسة الدول القوية، فالوقت للحضارة بمثابة سن الشباب للإنسان فإما أن يحسن استغلاله في تحقيق النهضة والعمل، وإما يضيع ويتحصر عليه المجتمع دون تحقيق نهضة حقيقية وحضارة فعلية، كما يفعل الشيوخ مع شبابهم، ولهذا لا يمكن إيجاد حل لهذه المشكلات إلا من خلال التفاعل مع عالم الأشياء والأشخاص والأفكار، والتي تعبر عن ضرورة حسن استغلال الطاقات البشرية والطبيعية والإبداع الفكري بما يتطلبه العصر ويفتح مجال لابتكار الجديد.

2.1. تنمية المجتمع في فكر عبد الله شريط:

لقد عالج المفكر عبد الله شريط مشكلة تنمية المجتمع من خلال البحث في أسباب التخلف في الدول المتخلفة عامة والعربية خاصة، وعن سبب جموده وبقائه ساكنا لا يحاول النهضة لتحسين ظروف العيش للمجتمع وتحقيق تنمية تحقق له العيش الكريم، وكذا لا يحاول المنافسة من اجل اللحاق بالدول المتقدمة أو تجاوزها، وهو أمر يرى أن من أهم أسبابه تاريخية واثر الاستعمار على الجمود العقلي وتعود التخلف، مما جعله يعيش دوما على إنتاج الغير والرضى بالاستيراد لكل شيء، وهو سبب كاف لدوام التخلف للمجتمع وأفراده، "إن مشكلة التخلف الذي نعيشه كما يراه المفكر عبد الله شريط، هو هذا التناقض الصارخ بين حالة تخلفنا الذهني والجمود الفكري وبين مواكبة التطور الحضاري الحاصل في عالمنا، وعندما يقارن الأستاذ عبد الله شريط بين حالة العرب ودولة الصين الشعبية، ففي الصين بذل مجهود فكري على الجبهتين: جبهة التراث التقليدي بالتنقية والتقييم ودرس ما هو قابل للحياة وما هو غير قابل للحياة، وجبهة المستوردات

الأجنبية بالدرس والتقييم ما يصلح منها الإنتاج وما هو للمتعة المادية وحدها". (بن دحمان، الصفحات 17-18).

ولهذا لا يكتفي شريط بالبحث في مشكلة التخلف للمجتمع وبعده عن تحقيق التنمية الفعلية بما يواكب العصر، وإنما يحاول طرح نماذج مقاربة للمجتمع العربي، وكيف نجحت تلك الدولة الصينية في الإنتاج والبناء للمؤسسات المنتجة رغم طابع المجتمع الصيني التقليدي وتمسكه بالتراث، وهو أمر يطرح التساؤل عن الأسباب التي أدت بالمجتمع العربي لبقائه دول مستهلكة فقط ولا تنتج حتى ضرورياتها وتعيش على جهد الغير وإنتاجه واعتماد هذه الدول العربية على الاستيراد لكل شيء سواء كان ضروري أو للمتعة فقط، مما يكشف العجز الكبير الذي يعيشه العقل العربي وجمود ذهنه وعجزه عن الإبداع والابتكار واللحاق بالدول المتقدمة ، "ولما كان ذلك فإن الذي يؤدي إلى الاستمرار والتواصل هو النظام الاشتراكي ولا يحدث هذا إلا بالثورة على كل مخرب لكيان الفرد والمجتمع فتحل قيم جديد محل قيم قديمة" (مراجي، 2014، صفحة 94)

كما يرجع عبد الله شريط أن أحد أسباب التخلف هو الجمود عن الثورة الفكرية والصناعية مثلما حصل مع النظام الاشتراكي، والتي احدث ثورة اجتماعية غيرت سلوك الأفراد وقيمهم، وجعلتهم يسعون لتحقيق التنمية من خلال الجهد العملي والإنتاج الفعلي من خلال الإبداع العقلي للأفراد، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا من خلال العلم الذي هو أساس بناء أي مجتمع والوصول للنهضة الفعلية من خلال ترابط ثلاث عناصر أساسية مع العلم والتي من خلالها يحقق حياة مادية تمكنه من تحصيل العيش وكذا حياة اجتماعية من خلال نشر رابط التعاون والتآخي بين أفراد المجتمع ليكون متضامنا مع بعضه في كل شيء، ثم ضرورة تحقيق الحياة الروحية من خلال الاهتمام بالدين والقيم وتحسين السلوك بما يمكن الإنسان من تحقيق الرسالة النبوية التي وجد من اجلها في هذا الكون.

3.1. تنمية المجتمع في فكر محمد أركون:

الأساسي لأي مجتمع يريد تحقيق تنمية فعلية للمجتمع، ذلك أن الدول التي تقدمت وتحضرت إنما كان ذلك بتشجيع البحث العلمي وإعطاء الجامعة ومراكز البحث والباحثين مكانة مرموقة مما جعل هذه الدول تتخطى كل عقبات التخلف والقفز إلى مرحلة تقدمية نوعية تحاول الدول المتخلفة اللحاق بها دون جدوى بسبب أن البحث العلمي في هذه الدول النامية هو في أخر

اهتمامات برامج ساستها، ولذلك لا تزال تعاني التبعية والاعتماد على البرامج المستوردة من اجل تحقيق التنمية للمجتمع وهو ما لن يتحقق أبدا نظرا لاختلاف البيئة والشعب والإمكانيات العلمية والمعرفية "لا يكاد يخفى على متأمل في فكر أركون أنه يرى البحث العلمي وتجديد وسائله ضروري فيعتبره ضرورة مرحلية لتحقيق التنمية "... "ضرورة حتمية يقتضيها مشروع التنمية فإن عواقبه وخيمة فيما يتعلق بنوعية الحضارة التي ينوي المسلمون بناء صرحها في المكان وفي الزمان ..."، وسيكون عدم الأخذ به وخيم العواقب، ولا يقود إلى نتائج بل يعمق المشاكل ويخلق أخرى جديدة (خوجة، 2011-2012، صفحة 83).

"ويقترح المفكر محمد أركون مستويات من أجل التحرر من ربقة التخلف وتحقيق التنمية أولها: وضع إستراتيجية علمية مدروسة للتنمية، أما الثاني فيدعو إلى وضع البحث العلمي موضع السبق أو أن يكون التفكير علميا والتخطيط ثم العمل خاضعا للبحث العلمي، على أن يرافق ذلك تخطيط أو سياسة ممنهجة للإعلام تخدم هذه الإستراتيجية وتخدم البحث العلمي والإعلام هو ثالث مستوى من مستويات تحقيق التحرر" (خوجة، 2011-2012، صفحة 85)، فهو يشرح كيف تقوم الحضارة في أي بلد على أساس علمي، ووفق شروط تتحقق عن طريق إرساء البحث وتوليته المكانة المرموقة والمستحقة في عملية التنمية، فهو ينكر وجود اهتمام بالبحث أو أن يكون للبحث أولوية ومكانة في التنمية العربية، كما لا يوجد حركة فكرية واضحة أو ترجمة علمية تخدم مخططات التنمية وترفع من مستوى التعليم، كما ينكر وجود خطط إعلامية وبرامج التنمية أو استراتيجيات تروج لبرنامج التنمية وتشارك في إنجاحها" (خوجة، 2011-2012، صفحة 86).

إن الحديث عن التنمية من دون الاهتمام بالعلم والبحث والعلمي هو بمثابة ضرب من الخيال لأجل بناء حضارة قوية من دون بناء الأساس لها، ولذلك يعتبر التعليم وتقوية مناهجه وإصلاحها احد أهم هذه الأسس التي تعتبر بمثابة اللبنة الأساسية نحو تحقيق تنمية المجتمع من خلال تنمية المدرسة والجامعة، لأنهم النافذة المطلة على الحضارة والتحضر والتنمية التي يتمتع بها الغرب، كما يمكن للإعلام أن يساهم بشكل فعال في إرساء قواعد الدولة الديمقراطية ونشر الوعي بما يخدم المجتمع ويساهم في تنميته.

"وكي تتحقق هذه المعادلة يلخص طروحاته في أكثر من مقال وقراءة:

- تجاوز المسلمات والطروحات التي تجاوزها التاريخ وتخلى عنها الغرب، وعدم محاولة اللحاق بالغرب فيما يتعلق بهذه المسلمات (مثل الرؤى والفلسفات الغربية) ... أو الإيديولوجيات سواء الاشتراكية أو الرأسمالية، ويطرح وفق ذلك:

- التنمية لا تحل بالنظم والإيديولوجيات المستوردة.

- عدم الاعتماد على المستشارين الأجانب والخبراء من خارج التجربة نظرا لجهلهم لجوهر الثقافة المحلية وعقلية الإنسان المحلي" (خوجة، 2011-2012، صفحة 86)

- "ترك المواقف الانفعالية والعاطفية ودعاة النزعة الرومنسية العاطفية في الإسلام.

- التفكير الجاد في المحاور المتعلقة بالاقتصاد والثقافة الفعالية في مجال التنمية.

- تشجيع البحث في العلوم الإنسانية لتحرير العقول التي يمكنها تقبل مشاريع التنمية ونشرها عن طريق الإعلام والتعليم" (خوجة، 2011-2012، صفحة 87).

ولهذا فلا سبيل إلى تحقيق النهضة والتنمية إلا من خلال الاعتماد على النفس وعلى الكفاءات المحلية، وعدم الانبهار بالغرب واستيراد تجاربه التنموية، والثقافية، لأن ذلك سوف يطيل أزمة التبعية ويعرقل مسار التنمية بعقول وطنية نظرا لاختلاف المجتمع وطموحاته وإمكانيته من بلد إلى أخر، ولهذا أصبح من الضروري الاهتمام بالتربية والتعليم والبحث العلمي وبتنشيط الثقافة المحلية والسعي قدما من اجل تحقيق تنمية شاملة ومستدامة لكل المجتمع بما يقتضيه واقعه وتطلعات شعبه وإمكانياته.

4.1. تنمية المجتمع في فكر عبد الله العروي:

يؤكد عبد الله العروي علة أهمية الدولة في تحقيق التنمية للمجتمع والفرد، لأنها المسؤولة عن تحقيق العدالة والمساواة بين كل أفراد المجتمع، وكذا نشر مبادئ الحرية والديمقراطية من اجل تجاوز التخلف الذي تصنعه الدولة الديكتاتورية مثلما هو حاصل في الدول النامية التي تعاني من اختلال الأنظمة السياسية بالدولة ولذلك يعاني كل المجتمع من التخلف كثمرة لذلك التأثير السلبي للدولة من خلال تضييق الحريات وضعف التنمية الناجمة عن ذلك مما يجعلها دول لا

تقلع تنمويا نظرا لأن الدولة في حد ذاتها تعيش جمودا فكريا وسياسيا يمنعها من تحقيق التنمية لذاتها ولمجتمعها.

"إن الدولة الطبيعية تخدم المجتمع بقدر ما يخدم المجتمع الفرد العاقل: تنظم التعاون، تمهد طرق السعي، تشجع الكسب وطلب العلم، المطلوب منها بالأساس الحفاظ على الأمن في الداخل والسلم في الخارج، أي ردع العنف اللامعقول مادام له أثر بين البشر، بقدر ما تتقدم الإنسانية في سبيل العلم والرفاهية والسعادة، بقدر ما تخف ضرورة اللجوء إلى الدولة بشأن المحافظة على السلم فتتلاشى وسائل الدولة الزجرية والقمعية داخليا على الأقل في المرحلة الأولى" (العروي، مفهوم الدولة، 2011، صفحة 8)

"هناك مفاهيم مثل المساواة والتنمية والأصالة تعبر عن الحرية كمنبع النشاط والتطور، تعني المساواة في الظروف الحالية، استقلال الفرد عن كل تبعية للغير، والتنمية استقلال الدولة عن أي تأثير خارجي، والأصالة استقلال القومية وانفلاتها من الذوبان في ثقافات أخرى، تحتل هذه المفاهيم الثلاثة القسم الأكبر من الحيز الذي عبر عنه كلمة حرية في المجتمعات الغربية، ويبدو ما عدا ذلك للمواطن العربي المعاصر تافها ثانويا، إذا انصب الاهتمام كله على تحقيق المساواة والتنمية والأصالة وكلها تشكلات ظرفية للحرية" (العروي، مفهوم الحرية، 1993، صفحة 106).

إن ما حققه الغرب من تقدم وتنمية نابع من جوهر المجتمع الغربي والقوانين التي تحكمه من خلال احترام حق التنمية للجميع وكذا تحقيق المساواة والعدالة بين كل أفراد المجتمع، ثم الاهتمام بأصالة المجتمع وثقافته الخاصة، وهي أسس تفتقر إليها المجتمعات في الدول العربية التي لا تزال تعاني التبعية ومنبهرة بالحضارة الغربية وعاجزة عن اللحاق بها وكل ذلك بسبب تخليها عن أسس الديمقراطية واحترام الحرية والمساواة وتنشيط الأصالة والتنمية الشاملة بما يحقق قفزة نوعية ببصمات محلية تجعل الفرد يتمتع بالاستقلالية عن كل تبعية للغير كما يرى ذلك عبد الله العروي.

"إن انشغال مجتمع ما بقضايا التنمية والأصالة والتنمية والأصالة لا يدل على التخلف وعلى ضرورة اختزال تجارب أمم أخرى، إن المساواة وسيلة الحرية وكذلك التنمية والمساواة والأصالة، بل أن الحرية المجسدة في سلوك معين هي وسيلة حرية أوسع وأشمل، لأن الحرية لا

تتحقق أبدا بكيفية مطلقة في سلوك بشري متميز، يعني التقدم دائما توسيع الحيز الذي تعبر عنه مباشرة كلمة حرية استعمالها الدقيق" (العروي، مفهوم الحرية، 1993، صفحة 107).

"أن الفرد الذي يعيش داخل الدولة الحديثة المبنية على الاقتصاد الصناعي الموجه والمساواة الديمقراطية، يميل بطبعه إلى مسايرة الآراء الغالبة، أصبح الفرد يفضل الرضوخ إلى رأي الأغلبية وهو رأي يتكون تلقائيا في المجتمع العصري، لكن الاجتماع الذي على رأي واحد، وهو اجتماع اصطناعي يتسبب في ذهول فكري وفي تعثر المجتمع، ككل لكي تحافظ على أسباب التقدم لا بد من الإبقاء على حقوق المخالعين في الرأي، لأن الاختلاف هو أصل الجدال هو أصل التقدم الفكري والابتكار" (العروي، مفهوم الحرية، 1993، صفحة 41) إن أهم ما يميز مجتمعات هذا العصر إنها مجتمعات صناعية وديمقراطية، يسير فيها الفرد حسب اتجاه واختيار الأغلبية في كل مؤسسات الدولة وما له علاقة بالشعب، ولذلك كان من الضروري احترام مبادئ الحرية والمساواة وكذا احترام الرأي المخالف، لأن الاختلاف تنوع وليس تناقض داخل المجتمع، وإنما ذلك يكون سبب تنوع البرامج والأفكار الإبداعية بما يحقق تنمية متنوعة للمجتمع وبما يجعل الدولة ومجتمعها تواكب العصر التقني والتكنولوجي، حتى تضمن التجديد لذاتها باستمرار من خلال الحفاظ على أسباب التقدم والاهتمام بوسائله وأدواته مهما تنوعت واختلفت داخل أي مجتمع.

5.1. تنمية المجتمع في فكر محمد عابد الجابري:

يعتبر الجابري من المفكرين المعاصرين الذين اهتموا بنقد العقل العربي وأثره في تحقيق التخلف للمجتمع العربي في كل المجالات، ولذلك كان لا بد من نقل العقل العربي لأن العقل هو المحرك الأساسي لأي نهضة ولأي حضارة، وهو في المجتمع العربي يعاني من الجمود الفكري والإبداعي والتيه بين إشكالية الأصالة والمعاصرة، آو الازدواجية بينهم، وذلك جعله دائم الركود والتخلف، مما جعله منقادا من طرف الدول التي لها عقل متحرر بالتفكير والإبداع، وهو ما جعل العقل العربي والمجتمع كله يعاني التخلف والتبعية للغرب في سائر الميادين التي تعتبر السبيل الوحيد لتحقيق تنمية للفرد والمجتمع والدولة.

"يؤكد الجابري على الدور الذي يمكن أن يلعبه العقل في تحقيق النهضة وهو يعترف بأن هناك وعيا بهذه المرحلة من مراحل محاولة النهوض بالأمة العربية، بل الأهم من ذلك يؤكد بأن هؤلاء كانوا على وعي أيضا حتى بضرورة تهيئة العقل إلا أن كل هذا ما هو إلا مرحلة مبدئية أولية

أُغفل فيها شيء مهم وهو نقد العقل في حد ذاته أو كما يسميه "سلاح النقد" لأنه كان لابد قبل استعمال هذا العقل من نقده لأنه ما لم يخضع لهذه المرحلة سيغدو الوضع الذي عاشه ويعيشه الوطن العربي" (بن عيسى، 2013، صفحة 112).

يتصور الجابري واقع الأزمة الحضارية التي تعيشها الأمة العربية حاضرا، ويقدم لنا تفسير حول واقع الفكر العربي المعاصر، مؤكدا أنه يعيش ثنائية التقدم والتأخر، وأن الفكر هو مجرد انعكاس للواقع، لواقع العالم العربي الذي عرف، ومازال يعرف تحولات في جميع المجالات، والنتيجة أن العقل العربي يجد نفسه يتأرجح بين الانحطاط والتقدم بين الركود والتحرر، بين التجزئة والوحدة بين الفوضى واليقظة بين النظام والإصلاح" (دراس، 2015، صفحة 15).

إن النهضة العربية ينبغي أن يسبقها نهضة فكرية للعقل العربي الذي ما زال لا يبرح مكانه في نقطة الصفر بين التقدم والتأخر، بين الإبداع والتبعية للغرب، بين احترام الذات والانبهار بالغير، ولهذا كانت النتيجة الحتمية للمجتمع العربي هو التخلف نظرا لتوقف عقله عن التفكير والإبداع بما ينافس الغرب ويواكب العصر ويحقق نهضة فكرية وعلمية وتنمية فعلية تمكنه من فرض نفسه بين دول العالم التي تبدع وتطور وتنافس، حتى لا يبقى في دور المتفرج والمقلد والمتبع للغرب في كل حركاته وسكونه، فالعقل وحده هو من يحدد ويحقق النهضة والتنمية وجموده يعني التخلف والانحطاط والتبعية للغرب كالعبيد. "ولذلك حدد الجابري معالم مشروعه النهضوي قائلا: أنا أعي تمام الوعي أنه إذا كانت هنالك أمة في هذا العصر يحتاج الفكر والثقافة فيها إلى تحرير التفكير في المستقبل من أوهام الماضي وأحلامه ومشاريعه التي لم تحقق من جهة، وتحرير التفكير في الماضي من ضعف الحاضر ومخاوف المستقبل وأحلامه من جهة أخرى، فهي أمم العالم الثالث، وفي مقدمها الأمة العربية التي كانت ولا تزال أمة ثقافية بامتياز". (بن علي، 2017، صفحة 11).

"وإذا فالمشكل الذي يواجهنا ليس مشكل أن نختار بين أحد نموذجين ولا مشكل أن نوفق بينهما، بل إن المشكل الذي نعانيه هو مشكل الازدواجية التي تطبع كل مرافق حياتنا المادية والفكرية، لا بل المشكلة في الحقيقة هي ازدواجية موقفنا من هذه الازدواجية: نحن نقبل هذه الازدواجية على صعيد واقعنا الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والتعليمي فنبني مخططاتنا التنموية على أساس "تنمية" هذا الواقع المزدوج: نصرف القطاعات "العصرية" من أجل تدعيمها وتوسيعها باسم "التحديث" (الجابري، 1990، صفحة 19)، "كما نصرف على القطاعات

"التقليدية" من أجل الإبقاء عليها وإحياء المندثر منها، باسم "الأصالة" والحفاظ على "التقاليد"، ولكننا وفي الوقت ذاته نرفض هذه الازدواجية على صعيد آخر: صعيد الحياة الروحية الفكرية، فريق يدعو إلى تبني القيم الفكرية العصرية التي تشكل جزءا لا يتجزأ من النموذج الحضاري الغربي، وفريق آخر يدعو إلى التمسك بقيمنا التراثية وحدها، وفريق ثالث يلتمس وجها أو وجوها للتوفيق، الأمر الذي يعني محاولة التخفيف من وقع هذه الازدواجية على الوعي، ليس إلا (الجابري، 1990، صفحة 19)، ولهذا فلن يحقق العقل العربي النهضة المرجوة حتى يتحرر من أوهامه ومخاوفه نحو المستقبل الذي كل يوم تدل القرائن انه زمن علم وعلوم وإبداع عقلي وتقني بكل ما تحمله هذا المعاني من تحديات وعوائق التي ما زال العقل العربي منبهرا في تحديها وتجاوزها، وكذا لا بد من تجاوز عقبات الماضي خاصة الحقبة الاستعمارية للعالم العربي التي كانت حجرة أساس في صناعة التخلف والجمود للعقل العربي وقتل إبداعه وجوهره، وكذا تجاوز التغني بالماضي وأمجاده في لحظة توقف فيها عن الحاضر والإبداع وفق ما تتطلبه تحدياته الراهنة ومستجداته المعاصرة القوية في كل العالم بما يجعل الدول المتقدمة تزداد تقدما والمتخلفة تزداد تخلفا.

6.1. تنمية المجتمع في فكر حسن حنفي:

يرى حسن حنفي أن أسس النهضة العربية وتحقيق التنمية للمجتمع العربي لن يتحقق إلا بتجاوز العقبات الفكرية والنفسية التي حالت دون تقدم وتحضر هذه المجتمعات، ذلك أن مشكلة التراث والتعلق بالماضي منع من الإقلاع الحضاري بشكل يواكب العصر ويصبح فيه الإنسان يتمتع بحياة كريمة ورفاهية تمكنه من العيش الكريم مثلما هو لدى المواطن في الغرب الذي تتوفر له كل حقوقه في شتى المجالات وليس له مشكلة تعرقل تقدمه وتحضره ملثما هو حاصل في المجتمع العربي. "يظل المجتمع الأوروبي هو الذي استطاع أن يوفر أكبر قدر ممكن من الرفاهية والخدمات: وسائل حديثة في المواصلات والاتصالات، تحكم في حرارة الجو صيفا وشتاء، سهولة الحياة، الجمع بين العمل والرفاهية، الإخلاص في العمل وحب الحياة، دقة المواعيد إحساسا بالزمان لديه بالسنوات والدهور وليس بالساعات والدقائق، كل شيء سهل الحصول عليها والتخلص منه بالنسبة للأطراف حيث يصعب الحصول على شيء أو التخلص من أي شيء (حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، 1991، صفحة 728)،"لا يصارع الأوروبي من أجل حقوقه الطبيعية الأولية في الغذاء والكساء والصحة والتعليم بينما يتصارع الناس في الأطراف من أجل قوت يومهم، وكساء أبدانهم

وعلاج مرضاهم وتعليم أولادهم، والدولة في خدمة الشعب، والنظام منتخب من الناس والتخطيط يتم لصالح الأغلبية، يتمتع الأوروبي بالحريات العامة التي حصل عليه وبحقوق الإنسان والمواطن التي ناضل من أجلها، ولم يعلن عن ذلك فقط بل مارسها داخل حدود أوطانه، على عكس باقي الشعوب التي طالما مارس فيها الحكام السياسة بالقهر ضد الخصوم السياسيين وفوق رؤوس الناس (حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، 1991، صفحة 728).

فالفرق بين المجتمع العربي والمجتمع الغربي شاسع ومتباعد، حيث يحتاج المجتمع العربي لأبسط متطلبات الحياة التي تمكنه من تحقيق ذاته أو تفعيل دوره داخل مجتمعه من خلال ممارسة أدواره السياسية والاجتماعية بشكل يكون فيها متمتعا بكل حريته في ذلك، وبعيد كل البعد عن المأمول والتحضر الذي يعيش فيه المجتمع الغربي الذي يؤدي فيها واجبه بشكل سليم ويتحصل فيه على كل حقوقه بشكل مستوفي، ولا يصارع ويناضل من اجل الحصول عليها كما هو حاصل في المجتمع العربي نظرا لاختلاف الأنظمة السياسية والتي تمارس مهامها حسب القوانين وتسعى جاهدة لخدمة المجتمع وفق مبادئ العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص، وهو ما تفقده المجتمعات العربية في شتى الميادين.

"وذلك لأن من بين أزمات البلاد النامية التي تعوق تقدمها هي صلتها بماضيها وعدم تحديد هذه الصلة التحديد الواضح وعدم الجرأة على صياغتها مرة واحدة وإلى الأبد وهو ما يبدو في بعض الشعارات مثل: الاشتراكية الإسلامية، الاشتراكية العربية، الاشتراكية الإفريقية، يحتوي الماضي على الغث والثمين ويتضمن ما يعوق التقدم وما يدفعه إلى الأمام، وإن تذبذب الحاضر وميوعته وتوقفه قد يكون لارتباطه بما يعوقه في القديم" (حنفي، قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر، 1983، صفحة 28)

"فالتصنيع والإصلاح الزراعي قد يتحطمان لأن الإنسان وهو العامل والفلاح، لم تتم إعادة بنائه ووضعه في العالم، وظل مختلفا عن مظاهر التقدم، فالثورة الصناعية والزراعية في البلاد النامية لا تتم إلا بعد القيام بثورة إنسانية سابقة عليها وشرط لها، لذلك تعثر العمل السياسي في البلاد النامية وفشلت الجهود لقيام أحزاب تقدمية وتنظيمات شعبية تملأ الفراغ بين السلطة والجماهير، فالنهضة سابقة على التنمية وشرط لها، والإصلاح سابق على النهضة وشرط لها، والقفز

إلى التنمية هو تحقيق لمظاهر التقدم دون مضمونه وشرطه" (حنفي، التراث والتجديد "موقفنا من التراث القديم"، 1992، صفحة 14)

ولهذا فقد تغير العصر وأدوات تقدمه والتي يجب مواكبتها وعدم التمسك بالماضي والتراث اللذان ينبغي تجديدهم من حيث الفكر والواقع واستثمارهم في تحقيق النهضة وتجاوز كل المعوقات التي صنعت التخلف والتي من أهمها مخلفات الاستعمار والتبعية الناجمة عن ذلك، وكذا ضرورة التجديد السياسي وفق أسس الديمقراطية والحرية، والتجديد الاجتماعي بما تتطلبه أفراده والحاجة للعدالة والمساواة وتكافؤ الفرص بينهم بما يحقق التنمية، وكذا التجديد الاقتصادي من خلال الإصلاح الصناعي والفلاحي ودعمهم ببرامج فعلية تحسن استثمار الثروات المحلية وتسعى جاهدة لتحقيق التنمية والنهضة المرجوة بما يجعل المجتمع العربي يخرج من قوقعة تخلفه ويتطلع نحو التحضر والتقدم بما يواكب العصر.

خاتمة:

إن إشكالية تنمية المجتمع في الوطن العربي لا تزال تثير اهتمام المفكرين والفلاسفة في الوطن العربي، فرغم ما طرحوه من حلول وبدائل من اجل تحقيق نهضة معاصرة تنفض الغبار عن جسد المجتمع العربي الذي أصبح شبه ميت مقارنة بما وصلت له المجتمعات الغربية من تقدن وتحضر ورفاهية، ولكن المشكل في الوطن العربي الذي أحال دون تحقيق ذلك هو الأنظمة السياسية القائمة والتي تعودت التبعية واستيراد كل شيء حتى المناهج والتجارب التنموية بما لا يلائم طبيعة المجتمع العربي وخصوصيته الإسلامية التي تدعوا إلى السعي نحو القيام والنهضة بشروط عربية وإسلامية تحقق ما عجزت عن التجارب الغربية في المجتمع العربي، وذلك إن لكل مجتمع ظروفه الخاصة وشروطه التي تساهم في تحقيق نهضته وهو ما يؤكد عليه المفكرين العرب عبر عقود من الزمن.

وعليه يمكن التوصل للنتائج التالية:

- تنمية المجتمع تحتاج لبناء حضاري واجتماعي يُمكن المجمع العربي من تحقيق العيش الكريم.

- ضرورة التخلص من مخلفات الاستعمار التي صنعت التخلف في المجتمع، والإقلاع من جديد بما يواكب العصر باستغلال التقنية والتكنولوجيا التي أصبحت أداة فعلية صناعة وبناء مجتمع متحضر.
- أن التنمية الفعلية ينبغي أن يسبقها بناء البنية التحية والمؤسسات الضرورية للدولة والمجتمع بكفاءات وطنية مع الاستفادة من تجارب الأمم المتقدمة.
- أهمية المدرسة والجامعة وضرورة الاهتمام بالبحث العلمي والتطوير لتحقيق وعي اجتماعي ونهضة فكرية وحضارية حقيقية.
- ضرورة تحمل المسؤولية الكاملة للفرد والمجتمع من أجل مساهمة الجميع في تحقيق التنمية الشاملة والمستدامة للمجتمع.
- التفتح على المجتمع الغربي والاستفادة من تجاربه لا يعني بالضرورة الانسلاخ عن التراث والهوية الأصلية وإنما يمكن الجمع بين الأصالة المعاصرة لتجب الخوف من كل ما هو غربي.

قائمة المصادر والمراجع:

1. حاج بن دحمان. (بلا تاريخ). *الحداثة في فكر عبد الله شريط*. المركز الجامعي أحمد زبانة.
2. حسن حنفي. (1983). *قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر* (الإصدار 2). بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر.
3. حسن حنفي. (1991). *مقدمة في علم الاستغراب*. الإسكندرية: الدار الفنية للنشر والتوزيع.
4. حسن حنفي. (1992). *التراث والتجديد "موقفنا من التراث القديم"* (الإصدار 2). بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
5. خيرة بن عيسى. (ديسمبر, 2013). قراءة تمهيدية لمشروع "محمد عابد الجابري" في نقد العقل العربي. *مجلة النقد العربي، التراث والحداثة*(1)، صفحة 112.
6. رابح مراجي. (2014). الدين والترقية عند عبد الله شريط. *مجلة النقد الثقافي، العدد السياسي والديني في الفكر المعاصر* (2).
7. شهرزاد دراس. (جانفي, 2015). القراءات النقدية للعقل العربي عند الجابري. *مجلة أبعاد*(2)، صفحة 15.
8. عبد الكريم خوجة. (2011-2012). *إشكالية التنمية في الجزائر بعد الاستقلال المفكر عبد الله شريط نموذجا*. وهران: جامعة وهران.
9. عبد الله العروي. (1993). *مفهوم الحرية* (الإصدار 5). بيروت، لبنان: المركز الثقافي العربي.

10. عبد الله العروي. (2011). *مفهوم الدولة* (الإصدار 9). بيروت، لبنان: المركز الثقافي العربي.

11. عبد الله حجاب . (جوان, 2017). التنمية المحلية النظريات الإستراتيجية والأطراف الفاعلة لتحقيقها. *مجلة الدراسات القانونية والسياسية*، صفحة 354.

12. مالك بن نبي. (بلا تاريخ). *تأملات*. دمشق، سوريا: دار الفكر.

13. مالك بن نبي. (بلا تاريخ). *مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي*. دمشق، سوريا: دار الفكر.

14. محمد بن علي. (2017). ميكانزمات تجديد العقل السياسي العربي قراءة في أطروحة محمد عابد الجابري. *3*(6)، صفحة 11.

15. محمد عابد الجابري. (1990). *إشكاليات الفكر العربي المعاصر* (الإصدار 2). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

16. مهوب العابد. (2012). *مفهوم التنمية في فكر مالك بن نبي*. الجلفة، قسم العلوم الإجتماعية، الجزائر: كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية.